



مختصر خطبة صلاة الجمعة 1/ 11 / 2024 للشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(الإمام عبد الله بن المبارك - العالم التاجر المجاهد)

الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه، المجاهد المرابط التاجر المنفق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزي، الحافظ، أحد أعلام الإسلام، ولد سنة ثمان عشرة ومائة. وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة.

وارتحل في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرمين، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وخراسان، واشتغل بالعلم حتى قلت مجالسته للناس.

قال نُعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟!

قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه.

ثم اشتغل ابن المبارك بالتعليم والتحديث، فحدّث بأماكن كثيرة واجتمع عليه الناس، قال أشعث بن شعبة المصيبي: قدم الرشيد الرقة، فأنجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم أمير المؤمنين من قصرها، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان قدم. قالت: هذا -والله- الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان.

قال العباس بن مصعب: جمع عبد الله الحديث، والفقهاء، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة، والسخاء، والتجارة

حدّث أصحابه في سخائه أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يضع لهم الطعام فيأكلون، وهو صائم.

أما عن جهاده: فمما روى عنه عبدة المروزي، قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل منا، فطارده ساعة، فطعنه، فقتله، فزدهم إليه الناس، فنظرت، فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتف وجهه بكفه!!

ومما روه بعد موته قال محمد بن الفضيل بن عياض: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: أي العمل أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه. قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم. قلت: فما صنع بك ربك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة.

ولما مات ابن المبارك في رمضان سنة واحد وثمانين ومائة قال هارون أمير المؤمنين: مات سيد العلماء.

وقد أفنى ابن المبارك عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقهاء والعربية.

قال الحسن بن عيسى: اجتمع جماعة فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلم، والفقهاء، والأدب، والنحو، واللغة، والزهد، والفصاحة، والشعر، وقيام الليل، والعبادة، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، وترك الكلام فيما لا يعنيه، والإنصاف.

ألف ابن المبارك كتاباً سماه الجهاد جمع فيه بعض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض آثار الصحابة والتابعين المتحدثة عن الجهاد، ليكون دافعاً للمجاهدين المؤمنين الباذلين ما لهم ومهجهم رخيصة لنيل رضا الرحمن دافعاً لهم للصدق عند اللقاء والجلاد، وتحريضاً على قلع ذوي الكفر والعناد، وابن المبارك أول من صنف في باب الجهاد.

والحمد لله رب العالمين